

الطاعة

وقف أمير المؤمنين رضي الله عنه للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT



التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرسالة الخامسة

الموازين بعقيدة الغيب

كتبه

الشيخ عباير السيد فاضل الحسيني النقشبدي

بجنته الدعوات والأشواق

لنقاء النبوة والإشراق الهادي

في العجرا

الطبعة الثانية
مزيد فيها

الدعوة

المعرفة

الموازنة

بعقيدة الغيب

الرسالة الخامسة

الحمد لله الفتح وحده. العليم الخبير؛ القائل:
﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾^(١)، وَالصَّلَاةُ عَلَى عَبْدِهِ
وَحَبِيبِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، فَاتِحِ بَابِ الْعِلْمِ وَعَيْنِ الْيَقِينِ،
خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ،
وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ - أَهْلِ الصَّدَقِ
وَالصِّفَا وَالْوَفَا - وَسَلِّمْ وَبَارِكْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ يَا رَبَّ
العالمين.

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ
مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا
يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

(١) سورة التكويد.

(٢) سورة الأنعام.

فمن باب الأمانة والمحبة - لأهل العقيلة

والإنابة والدعوة، نطرح هذا التساؤل المهم
ومحاولين الإجابة عنه فنقول: هل عند ذاتِ الله
غيبٌ؟ وهل يَعْلَمُ - جَلٌّ وعلا - كلُّ الغيبِ؟ وهل
يُحيطُ بالجزئيات بذاته الأقدس؟ وهل أنَّ الله -
سبحانه وتعالى - يُعَلِّمُ عباده الغيبَ أم لا يُعَلِّمُ؟.

فنقول وبالله التوفيق: إن الجواب على هذه

التساؤلات المهمة يحمل أوجه عدة.

الوجه الأول: إن الله ليس عنده غيبٌ فكلُّ ما

في الكون من خزائن وجزئياتٍ فهو معلومٌ ومُشاهدٌ

عنده - سبحانه - قبل تكوينه وبعد وجوده؛ لقوله

تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾^(١)، فما كان غيباً قبل

(١) سورة الحشر.

الوجود فهو معلومٌ عند ذات الله الأقدس - تبارك ربنا وتعالى وتقدس - وما كان بعد الوجودِ فهو معلومٌ ومُشاهدٌ أيضاً - وهذا ظاهرٌ بالإدراك لنا ما نراه وما لا نراه وهو موجودٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨) (١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) (٢)، فالأشياءُ ثلاثةٌ: الجهرُ، والسرُّ، والأخفى؛ فهذه الأمور عنده - جلَّ وعلا - معلومةٌ ومشاهدةٌ ظاهراً وباطناً؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) (٣)،

وقال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾

(١) سورة النحل.

(٢) سورة طه.

(٣) سورة الحديد.

وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَرَ
الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَيْلٍ وَسَارِبٍ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ (١).

إِذْنُ: فَالْغَيْبُ عِنْدَهُ - جَلٌّ وَعَلَا - مُشَاهَدَةٌ
وَالْمُشَاهَدَةُ عِنْدَنَا وَهِيَ: الْكُونُ، أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى
لِلْوُجُودِ؛ فَهُوَ مُشَاهَدٌ بِكُلِّ جَزْئِيَّاتِهِ عِنْدَ ذَاتِهِ الْأَقْدَسِ
- جَلٌّ جَلالُ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ، مَعَ اسْتِغْنَائِهِ الْمَطْلُوقِ عَمَّا
خَلَقَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ، الْقَائِلُ: ﴿لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) (٢)، فَالْغَيْبُ
عِنْدَنَا، مَعَ وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِهِ؛ كَمَا قَالَ الْحَقُّ جَلَّتْ

(١) سورة الرعد.

(٢) الشورى.

عَظُمْتُ هُ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُفِقُونَ ﴿٣﴾ (١).

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

الْغَيْبِ ﴿٥٩﴾ (٢)، فمعناه خزائنه ومعلوماته - وجمعُ

مَفْتَحٍ بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى

المغيبات، وهو مستعارٌ من المفاتيح الذي هو جمعُ

مِفْتَاحٍ بالكسر وهو المفتاح ويؤيده بقراءة

﴿مفاتيح﴾ ومعنى ذلك: أنه المتوصل إلى المغيبات

المحيط علمه بها - بكل غيبٍ بذاته الأقدس - جلَّ

وعلا؛ لقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا عَدَا رَبُّكَ بِمَا كَسَبَتْ فِي سِجِّينٍ﴾ (٣)، وهو مبالغته في

إحاطة علمه بالجزئيات، لقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الأنعام.

(٣) سورة الأنعام.

بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾^(١)، فهو دليلٌ آخر
على كونه تعالى عالماً بالجزئيات، وقال أيضاً - تبارك
وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

روى البخاري: أن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله يصنع
كل صانع وصنعتة﴾، وتلا بعضهم عند ذلك:
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، فأخبر أن الصناعات
وأهلها مخلوقة^(٣).

(١) سورة الجن.

(٢) سورة يونس.

(٣) سورة الصافات.

(٤) «خلق أفعال العباد» للإمام أمير المحدثين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري . عليه رحمة الله الباري (ت ٢٥٦هـ) ص (٤٦)، «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) (٤٩٨/١٣)، «تاريخ بغداد» لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) =

فسبحان الذي لا يبعدُ ولا يغيبُ عن علمه
الشامل مثقالُ ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، فكيفَ
يغيبُ عن جلاله وجمالِه الأقدس - أفعالُ عباده
وأحوالُ أحبائِه ﷺ، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١)

- ثم لفظ ﴿مفاتيح﴾ يمكن أن يكون المراد منه
المفاتيح ويمكن أن يراد منه الخزائن؛ وفي البلاغة:
(يُذَكِّرُ اللَّفْظُ الْقُرْآنِي وَيُرَادُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنَى)،
(بل قد يُذَكِّرُ اللَّفْظُ وَيُرَادُ بِهِ بِكُلِّ مَعْنَاهِ).
- ذكر الإمام الرازي في «تفسيره» عن الآية
الشريفة قائلاً: أما على التقدير الأول: فقد جعل
للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لأن المفاتيح

= (٣١/٢)، «تاريخ دمشق» علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي

(ت ٥٥٧١) (٩٣/٥٢).

(١) سورة محمد.

يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها
بالأغلاق والأقفال فالعالم بتلك المفاتيح وكيفية
استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن
يتوصل بتلك المفاتيح إلى ما في تلك الخزائن.

(ولله المثل الأعلى)^(١) فكذلك ههنا الحق
سبحانه لما كان عالماً بجميع المعلومات عبر عن هذا
المعنى بالعبارة المذكورة، وقرئ ﴿مفاتيح﴾.

وأما على التقدير الثاني: فالمعنى: وعنده خزائن
الغيب. فعلى التقدير الأول يكون المراد العلم
بالغيب، وعلى التقدير الثاني المراد منه القدرة على
كل الممكنات؛ كما في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٢)، وللحكمة

(١) (ولله المثل الأعلى) هذه الزيادة ليست من النص، بل هي من المؤلف.

(٢) سورة الحجر.

في تفسير هذه الآية كلام عجيب مفرع على
أصولهم فإنهم قالوا: ثبت أن العلم بالعلة علة
للعلم بالمعلول وأن العلم بالمعلول لا يكون علة
للعلم بالعلة. قالوا: وإذا ثبت هذا فنقول: الموجود
إما أن يكون واجبا لذاته، وإما أن يكون ممكناً لذاته،
والواجب لذاته ليس إلا الله سبحانه وتعالى. وكل
ما سواه فهو ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يوجد
إلا بتأثير الواجب لذاته وكل ما سوى الحق سبحانه
فهو موجود بإيجاده كائن بتكوينه واقع بإيقاعه. إما
بغير واسطة وإما بواسطة واحدة وإما بوسائط كثيرة
على الترتيب النازل من عنده طويلاً وعرضاً. إذا
ثبت هذا فنقول: علمه بذاته يوجب عمله بالأثر
الأول الصادر منه، ثم علمه بذلك الأثر الأول
يوجب علمه بالأثر الثاني؛ لأن الأثر الأول علة

قريبة للأثر الثاني. وقد ذكرنا أن العلم بالعلة
يوجب العلم بالمعلول، فهذا علم الغيب ليس إلا
علم الحق بذاته المخصوصة ثم يحصل له من علمه
بذاته علمه بالآثار الصادرة عنه على ترتيبها المعتر،
ولما كان علمه بذاته لم يحصل إلا لذاته لا جرم صح
أن يقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾. اهـ (١).

الوجه الثالث: إن الإحاطة بجميع الغيب لا
تكون إلا لله وحده - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَمَّ نَوَالُهُ، وإذا
شاء بذاته عَلم؛ لذلك فإن الشرائع والأديان من
وحيه وتعليمه - عَزَّ وَجَلَّ. وإذا قلنا لا يَعْلَمُ ﴿الغيبَ﴾
إِلَّا اللَّهُ:- أي لا يَعْلَمُ بذاته الغيبَ حقيقةً استغراقيةً
بالإحاطة والجزء إلا الله - جَلَّ فِي عِلْمِهِ؛ وإذا شاء
عَلمَ، وهو علمٌ عطائيٌّ مكتسبٌ من الله تعالى

(١) ((التفسير الكبير)) لأبي محمد بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ((الفخر الرازي))
(ت ٦٠٦هـ) (٩/١٣).

لبعض عباده مثل الأنبياء - عليهم السلام؛ قال

تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾^(١) وإذا كان الحقُّ - تبارك

وتعالى - لا يُعلمُ أحداً، فمن أين جاءت شرائعُ الله!

فيتحول الأمرُ إلى فكرٍ بشريٍّ وقوانينٍ وضعيَّةٍ باطلةٍ

ضالةٍ؛ مع العلم أن الله قد أذنَ بالفتحِ برحمته من

الغيبِ بإذنه وحده - جلَّ وعلا - لقوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴿٢٥٥﴾^(٢)، بمعنى يعلمُ ما

مضى وما بقى وهو غيبٌ، وقال تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿٢٥٥﴾^(٣)، وهي

الإحاطةٌ بمعلوماته التامة بذاته الأقدس؛ ولا يعرفُ

كلَّ المعرفةِ عن ذاتِ الله الأقدس إلا ذاته - تقدست

(١) سورة يوسف.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة البقرة.

أَسْمَاءُ وَصَفَاتُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١) وَمَا عَلِمْتَ عَنْ ذَاتِهِ

فَمِنْ ذَاتِهِ - تَبَارَكَ رَبُّنَا وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ، عَنْ طَرِيقِ

وَحْيِهِ - جَلٌّ وَعَلَا - وَأَنْبِيَاءِهِ وَرَسُولِهِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

وَسُبُلِ هِدَايَتِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا بِمَا

شَاءَ﴾ (٢٥٥)، وَهَذَا التَّعْلِيمُ لَيْسَ لِعَمُومِ الْغَيْبِ - أَيِ

الْإِحَاطَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْإِحَاطَةِ بِالْغَيْبِ

عِلْمًا؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْحَقِّ

سَبْحَانَهُ. قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾ (٣)؛ وَبَعْضُ الْغَيْبِ بِمَشِيئَتِهِ سَبْحَانَهُ، يَكُونُ

عَلَى قَدَرِ مُسْتَحَقِّ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ وَلَهُ: ثَلَاثَةُ مَرَاتِبَ

لِتَعْلِيمِ الْغَيْبِ:

(١) سُورَةُ طه.

(٢) سُورَةُ الْحَدِيدِ.

المرتبة الأولى [الرسالة]؛ والمرتبة الثانية:
[القلب]؛ والمرتبة الثالثة: [القلم].

أما المرتبة الأولى فهي: الرسالة، والنص
الشريف مبين لهذا الحكم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ

مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾^(١)،

فالرسول يُوحى إليه عن ربه - تبارك وتعالى -

بواسطة جبريل عليه السلام بشريعة الأديان، ومنها شريعة

الإسلام الجامعة الخاتمة، ومنه بغير واسطة جبريل؛

لأن جبريل عليه السلام هو الشاهد في الواسطي للأحكام

على العموم، وما وقع لموسى النبي عليه السلام من كلام

الله بغير الواسطي شاهد في آيات القرآن المجيد؛

ومن كلامه - تقدست أسماءه وصفاته - لحبيبه محمد

ومصطفاه - صلوات ربي عليه وسلامه، في المعراج

(١) سورة الجن .

و بما أمر عن ربه ﷺ بالصلاة بغير واسطة جبريل
عليه السلام. واعلم: أن الوحيَ نوعان: وحي تكريم، ووحي
تبليغ. أما وحي التكريم فهو: أن يكلم الله محمداً ﷺ
بدون واسطة، وهو أكرم من وحي التبليغ، ولكنه لا
يصح أن يكون مستنداً للأحكام لعدم شاهدٍ بينه في
الواسطي؛ وحي التبليغ وهو: أن ينزل الله آياته
بواسطة جبريل عليه السلام فيصح أن يكون مأخذاً
للأحكام - لوجود الشاهد فيها وهو جبريل عليه السلام.
وما وقع لرسول الله محمد ﷺ عن الصلاة فهو: وحي
تكريم وتبليغ؛ فقد أمر عليه السلام بالصلاة في المعراج
بدون الواسطي، ثم جاءت الآيات الشريفة ترا
بواسطة جبريل عليه السلام عن الصلاة في القرآن المجيد
كثيراً. فافقه، وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن
يخشاه ويتقيه حق ثقاته. آمين يا رب العالمين.

المرتبة الثانية وهي: القلب، لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ

يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢٧) (١)، لذلك فإن

الملائكة الكرام تطلع إلى الأمر النازل من الغيب

القدسي من كلام رب العالمين - سبحانه - في اللوح

المحفوظ ويحفظون سر الأمر لوصوله إلى القلب

الشريف - صلوات ربي عليه. فالله الذي أعطى

القوة والعلم بإذنه وهو راض، فهو - جل جلاله

وعم نواله - الذي يُعلم أحبابه من الأنبياء،

والصالحين بدلالة، أولاً: ﴿أَرْتَضَى﴾: للرسول، بالوحي

والعصمة - معجزة؛ كما جاء في «الصحيحين» عن

حَدِيثَةَ قَالَتْ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ

شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا

حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ

(١) سورة الجن.

نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ
الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ
الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَأَهُ عَرَفَهُ»^(١)، وحديث
البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَامَ فِيْنَا
النَّبِيُّ صلوات الله عليه مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ
أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ
مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»^(٢)، وحديث مسلم عن
عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه في خطبته صلوات الله عليه من
الفجر إلى الغروب، وفيه «فَأَخْبَرَنَا يَمَا كَانَ وَيَمَا
هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا»^(٣)، قال القاضي عياض:
«والأحاديث في هذا الباب بحرٌ لا يُدرك قعره، ولا

(١) ((صحيح البخاري)) كتاب القدر- باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ((صحيح مسلم))، مسلم

بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) كتاب الفتن وأشراط الساعة .
باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٢) ((صحيح البخاري)) كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في قول الله تعالى: ((وهو الذي يبدأ
الخلق)).

(٣) ((صحيح مسلم)) كتاب الفتن . باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة.

يُتْرَف غَمْرُهُ^(١)، وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على
التواتر لكثرة روايتها واتفق معانيها على الإطلاق
على الغيب^(٢). اهـ واعلم يا أخي في الله، أن
أعلى من عَرَفَ الله واتقاه هو رسول الله ﷺ القائل:
﴿إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعَلَمَكُم بِاللَّهِ أَنَا﴾^(٣)، وهو ﷺ أعظم ممن

(١) ومن هذه الأحاديث: حديث محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ) في كتاب التفسير . باب سورة ص . عن معاذ بن جبل، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((فرأيتُه عز وجل وضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي. فتجلى لي كل شيء وعرفت)) وكما في ((المعجم الكبير)) لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ) (١٠٩/٢٠) و((مسند أحمد)) لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) كتاب مسند الأنصار . باب حديث معاذ بن جبل. وحديث ابن عباس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((فعلمت ما في السموات والأرض)) كما في ((مجمع الزوائد)) لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) (١٧٦/٧). وفي ((مسند أبي يعلى)) لأحمد بن علي بن المشي الموصل التميمي (ت ٣٠٧هـ) (٤٧٥/٤): ((فعلمت ما بين المشرق والمغرب))، وحديث ((مسند الإمام أحمد)) كتاب مسند الأنصار . باب حديث أبي ذر الغفاري: ((لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما))، وحديث الطبراني في ((الكبير))، و((حلية الأولياء)) لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) (١٠١/٦): ((إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه)).

(٢) ((الشفاء)) للحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) (٢٤٩/١).

(٣) ((صحيح البخاري)) كتاب الإيمان . باب قول النبي: ((أنا أعلمكم بالله)).

عَلَّمَهُ اللَّهُ وَرَفَعَهُ؛ قَالَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ ط ﴿٢٥٣﴾^ط﴾^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾^(٢)، رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ
مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَحْتَسِبُ عِنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
ذَاتَ غَدَاةٍ عَنِ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِيدْنَا نَتَرَايَ عَيْنَ
الشَّمْسِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوبَ يَالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ
فَقَالَ لَنَا: ﴿عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ﴾ ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا ثُمَّ
قَالَ: ﴿أَمَّا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ أَنِّي قُمْتُ
مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة النساء.

فَاسْتَشَقَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ
فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ قَالَ: فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ
الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَذْرِي رَبِّ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ
كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَتَجَلَّى لِي
كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ قَالَ فِيْمَ
يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ قَالَ: مَا هُنَّ؟
قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ
بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَإِسْبَاحُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ قَالَ: ثُمَّ فِيْمَ
قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَلِينُ الْكَلَامِ وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ
قَالَ: سَلْ قُلَّ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ
الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَإِذَا
أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ
يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهَا
حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا ﴿١﴾.

(١) ((سنن الترمذي)) كتاب تفسير القرآن . سورة ص . قال: حديث حسن صحيح، وقال: سألت
محمد بن إسماعيل [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن
صحيح. وفي ((مسند احمد)) كتاب مسند الأنصار . باب حديث معاذ بن جبل.

- ولأحبابه الأولياء، بالحبّة والرحمة - كرامة

وحفظاً وفتحاً منه - جلّ وعلا؛ لأن العالم الولي وارثٌ لعلم النبوة؛ لقوله ﷺ: ﴿الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ﴾^(١)، ومنه الحكمة التي هي سِرُّ النبوة؛ كما

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)،
وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، فيؤتي: فعل مضارع وهو: للحال

(١) «صحيح البخاري» كتاب العلم . باب العلم قبل القول والعمل، وأخرجه أيضاً الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» بطرق متعددة؛ «سنن الترمذي» كتاب العلم . باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، «سنن أبي داود» سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) كتاب العلم . باب الحث على طلب العلم؛ «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان» لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، (١/٢٨٩).

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة البقرة.

والإستقبال وليس «أتى»، فهو: تعليمٌ وفتحٌ من لدنه
برحمته - جلُّ وعلا - والحكمة من عظيم الفتح
الإلهي، وإذا أوقفنا الفتح ومنه الحكمة - فقد قيدنا
رحمة الله للعالمين على طريق الشمولية والدوام.

وأعلم: أن الكهانة والعرافة خارجان عن
الرضوان والحكمة، وهما تنجيمٌ وشعبنةٌ أو شعونةٌ،
والأمر فيهما بين الكفر والكبيرة - والعياذ بالله.

وأعلم: أن العارف بالله لا يعرف شيئاً بذاته،
ولكن إذا ما علّمه الله وفتح على بصيرته بإذنه
ورضاه، فهو لا يدري بذاته، ولكن إذا ما دري عن
ربه ﷻ؛ فماذا يصنع هذا العبدُ الفقيرُ المحبُ بينَ
يدي الله - جلُّ جلاله وعم نواله - خدمةً لأمة
حبيبه ومصطفاه - صلواتُ الله عليه وسلامه؛
وأعلم: أن الولي العارف لا يؤثّر بنفسه شيئاً،

ولكن إذا ما أخذ الله بيده وجعل الأثر مؤيداً من

جَلال قدرته ورحمته، والعبدُ مفتقرٌ لذاته الأقدس -

جلٌ وعلا، وهو صاحبُ المدد لعبده ومحبه؛ لما روى

الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا

فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ

مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ

حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ

الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا

وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ

شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا

أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ^(١)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمْرِ مُوسَىٰ

أَنْ أَرْضِعِيهِ^(٢) ﴿٧﴾، فقد علّمها الله ﷻ إلهاماً أو رؤيةً

وثبت الأمرُ بذلك نصاً شريفاً، وما فعلَ مع السيدة

(١) ((صحيح البخاري)) كتاب الرقاق . باب التواضع .

(٢) سورة القصص .

الجليلة الكاملة^(١) مريم بنت عمران - رضي الله

تعالى عنها؛ فقد قال الله تعالى عنها في كتابه المجيد:

﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ

(١) أي: كمالٌ نسبي، أو كمالُ الأحوال في مقام العبودية والمعرفة الإلهية، إلى معارج الحب والرضوان؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((كَمَلِ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)) ((صحيح البخاري)) كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى: ((وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة)) ((صحيح مسلم)) كتاب فضائل الصحابة . باب فضائل خديجة أم المؤمنين. وفي ((تفسير الطبري)) عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كَمَلِ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ)) وقال ابن حجر في ((الفتح الباري)) (٤٤٧/٦): وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة بعد قوله: ومريم ابنة عمران " وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد " أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا، وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواة عند الطبراني بهذا الإسناد، وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به، وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث علي بلفظ "خير نسائها خديجة" وجاء في طريق أخرى ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في "كتاب الزهد" والحاكم كلهم من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون" وله شاهد من حديث أبي هريرة في "الأوسط للطبراني" ولأحمد في حديث أبي سعيد رفعه "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران" وإسناده حسن.

أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٣٧﴾^(١)، وهذا من طريق غير مألوف، ونداء
الملائكة لها غير مألوف، ورؤيتها لجبريل عليه السلام ليست
بمألوفة، وحملها سيدنا عيسى عليه السلام بلا مس بشر غير
مألوف، وكلامه عليه السلام وهو في المهد من أجل براءتها
ليس بمألوف، وتلك الكرامات العظيمة حكاها
القران فلا شك فيها ولا ريب؛ وهذا جزء يسير لما
وقع من رحمة الله وفتحهِ للأُمم السالفة، وما
اختُصتْ هذه الأمة الإسلامية أوسع وأعظم، وهي:
ما عليها الأمة بالتواتر اللفظي والمعنوي؛ ومنها ما
وقع لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى
سارية قائد المسلمين في نهاوند وهو على منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وناداه وأسمعه ولبى

(١) سورة آل عمران.

سارية ﷺ وهذا الأمر الرباني كان سببَ النصرِ
آنذاك^(١)؛ وهذا جدُّنا عليٌّ ﷺ، وكرم الله وجهه لما
أتت الليلة التي استشهد في صبيحتها جعل يكثر
من الخروج من البيت والنظر إلى السماء، وجعل
يقول: «والله ما كذبت وما كذبت. وإنما الليلة التي
وعدت» واقبل عليه الإوز يصحن في وجهه
فطردوهن فقال: «دعوهن فإنهن نوائح»^(٢)؛ ومن
عظيم المنزلة عند الله ﷻ قوله عليه الصلاة
والسلام: ﴿اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن
معاذ﴾^(٣)، ولقوله - عليه الصلاة والسلام: ﴿يَأْتِي

(١) ((الإصابة في تمييز الصحابة)) لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

الشافعي (ت ٨٥٢هـ) (٦/٣) ((تاريخ الخلفاء)) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(ت ٩١١هـ) (ص ١١٣)، ((تاريخ دمشق)) (١٩/٢٠).

(٢) ((الصواعق المحرقة)) لأحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ) (ص ١٣٤) ((أسد

الغابة)) لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بـ "ابن الأثير"

(ت ٦٠٦هـ) (١/٨٠٣).

(٣) ((صحيح البخاري))، كتاب المناقب . باب مناقب سعد بن معاذ ((صحيح مسلم))، فضائل

الصحابة . باب فضائل سعد بن معاذ، ((سنن ابن ماجه)) لأبي عبد الله محمد بن يزيد =

زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنَامٌ مِّنَ النَّاسِ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَن صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ
فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَن
صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ
فَيُقَالُ فِيكُمْ مَن صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ
نَعَمْ فَيُفْتَحُ ﴿١﴾ .

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ

رِصْدًا﴾، حُرَّاساً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْرَسُونَهُ مِنْ اخْتِطَافِ
الشَّيَاطِينِ وَتَخَالِيطِهِمْ، وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لِتَعْلِيمِ
الْغَيْبِ بِإِذْنِهِ تَعَالَى إِنَّمَا تَكُونُ تَلْقِيَاءً مِنَ الْمَلَائِكَةِ،
كَإِطْلَاعِنَا عَلَى أَحْوَالِ الْآخِرَةِ بِتَوْسِطِ الْأَنْبِيَاءِ -

=القزويني (ت ٢٧٥هـ) المقدمة . باب فضل سعد بن معاذ، وذكره الإمام احمد في
(مسنده) بلفظ: ((وجنازة سعد موضوعة اهتز لها عرش الرحمن عزوجل))، كتاب باقي مسند
المكثرين . باب باقي المسند السابق، ولفظه عند الترمذي في ((سننه)): ((وجنازة سعد بن
معاذ بين أيديهم اهتز له عرش الرحمن))، كتاب المناقب . باب مناقب سعد بن معاذ .
(١) ((مسند احمد))، كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي سعيد الخدري ((صحيح
البخاري))، كتاب الجهاد والسير . باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب،
(صحيح مسلم))، كتاب فضائل الصحابة . باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم .

عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١).

ومنه الإلهام والنفث في الرُوع بإذنه - تبارك
وتعالى؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وإن الروح
الأمين قد نفث في روعي﴾ (٢)؛ وإطلاع الملائكة على
النازل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، إلى
القلب الشريف، مناسبةً بين الملائكة من عباده
وأحبابه العارفين بالله - بالتعليم منه - جلّ وعلا،

(١) سورة فصلت .

(٢) الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد
أمرتكم به ولا تركت شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه وإن الروح الأمين قد نفث في
روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها فأجملوا في الطلب)) ((مسند الشافعي))
للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) (١/٢٣٣) ((شعب الإيمان)) لأبي بكر احمد
بن الحسين علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) (٢/٦٧)، وفي رواية: ((هذا رسول رب العالمين
جبريل نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها فاتقوا الله
وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما
عنده إلا بطاعته)) ((مسند البزار)) لأبي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار
(ت ٢٩٢هـ) (٧/٣١٥).

لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥) (١)، لما روى الطبري في
تفسيره المأثور (٢) قال: قال ابن عباس رضي الله
عنهما: ﴿ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ (٦٥)، وهبنا له رحمةً
من عندنا، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥)، يقول: وعلمناه
من عندنا أيضاً علماً؛ وعلمُ الله غيبٌ، قال العلامة
الألوسي في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥)،
أي علماً يكتنه كنهه، ولا يقدر قدره وهو علمُ
الغيوبِ وأسرارِ العلومِ الخفية، وذكر أنه يفهم من
فحوى ﴿مِمَّا لَدُنَّا﴾ أو من تقديمه على
﴿عِلْمًا﴾ اختصاصُ ذلك بالله تعالى كأنه قيل علماً

(١) سورة الكهف.

(٢) «جامع البيان في تفسير القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(ت ٣١٠هـ) (٨/٢٥٠).

يختص بنا ولا يُعلم إلا بتوفيقنا^(١). اهـ وقصة
الخضر عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم فيها إطلاع
الله عليه السلام المَلَك، والنبي، والولي، عموماً، والخضر
خاصةً على بعض الغيب: كما اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الخضر أنه قال لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَى مَا
نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا
الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ﴾^(٢).

المرتبة الثالثة: [القلم] قال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(٤)

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٥) ﴿^(٣)، فلامُ الجنسِ في الإنسانِ
للعوموم - بمعنى: عِلْمُ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ وَالصَّالِحِ

(١) ((روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)) لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) (١٥/٣٣٠).

(٢) ((صحيح البخاري))، كتاب أحاديث الأنبياء . باب حديث الخضر مع موسى ((صحيح مسلم))، كتاب الفضائل . باب من فضائل الخضر ((سنن الترمذي))، كتاب تفسير القرآن . باب من سورة الكهف ((مسند احمد))، كتاب مسند الأنصار . باب حديث عبدالله بن عباس عن أبي بن كعب.

(٣) سورة العلق.

والمناققَ بالقلم ما لم يَعلموا، وقد انتهت الآية الشريفة بفعل مضارع وهو: للعموم في البلاغة من حال واستقبال - أي: قد عَلَّمهم الحق بالقلم ما لم يَعَلِّمُوا، وهو غيبٌ، لِيُثَبَّتَ بما تحقق من علوم الطبيعة والكون في كل زمان ما في القرآن من إعجازٍ وتحديٍّ، وليُعَرَّفَ البشرية أن هذا الدين الإسلامي الحنيف هو الصالحُ والمصلحُ للأزمان كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وقد اخبر ﷺ بكثير من أحوال العصر ومخترعاته؛ وقد بلغت أكثر من مائة حديث عنه - عليه الصلاة والسلام.

- ونضرب مثلاً هاماً على جميع ما ذكرنا، ليكون اليقين، والحفظ لدين الله والأمة، بعقيدةٍ وإنابةٍ ودعوةٍ واحدةٍ، حتى لا يُفترى وتكون الخيانة للمصالح، والازدواجية، وشطحات الأنانية. وتبيان

ذَلِكَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ

الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ (١)،

فقد جاءت الآية الشريفة بالمغيبات الخمسة المتحدى

بها - كما قال رسول الله ﷺ: ﴿مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا

يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَّا يَكُونُ فِي غَدٍ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ

مَّا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ

الْمَطْرُ﴾ (٢)، وقال - عليه الصلاة والسلام: ﴿أُوتِيَتْ

مفاتيح كل شيء إلا الخمس ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ

(١) سورة لقمان.

(٢) ((صحيح البخاري))، كتاب الجمعة . باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، ولفظه عند

احمد في ((مسنده)): ((مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ

وَلَا يَعْلَمُ نُزُولَ الْغَيْثِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ السَّاعَةَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ))، كتاب مسند المكشورين من

الصحابة . باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾، قال
ابن مسعود: أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير
الخمسة ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ رَعْلَمُ السَّاعَةِ ﴿٢﴾.

- فما يُرى اليومَ من أمر معلومات الطب في
الأرحام، والأنواء، والإعلام، يحتاج إلى إيضاح لذلك:
فاعلم: أن الآية الشريفة جاءت بلغة القرآن ويلغته
العربية الموضحة لهذا الإبهام، ومنها براعةُ
الاستهلال: فقد جاءت بخبر مقدم - والخبر يفيد
العموم، فعمومُ الغيبِ في هذه المغيبات عندهُ وحدهُ
- جَلٌّ وعلا - والبعضُ منها وفي غيرها إذا شاء
علم، كما أسلفنا من قبلُ. ولو أخذنا من المغيباتِ
الخمسةِ واحدةً وهي: «الأرحام»؛ كما قال تعالى:

(١) ((مسند أحمد))، مسند المكثرين من الصحابة . باب باقي المسد السابق، ورجاله رجال
الصحيح، ((المعجم الكبير)) للطبراني (٣٦٠/١٢)، ((مجمع الزوائد)) (٤٧١/٨).
(٢) ((مسند أحمد))، كتاب مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله بن مسعود. وقال
في ((مجمع الزوائد)) (٤٧١/٨): رواه احمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ف ﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع للحال
والإستقبال وهو: للعموم في البلاغة - فهو - جلُّ
وعلا - يَعْلَمُ الإقْرَارَ، والتكوين، والحياة المتصلة
لحظةً بلحظةً من نطفتها إلى ولادتها؛ لقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا

فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴿١﴾، و﴿مَا﴾: بمعنى الذي
وتفيد الاستغراق لجميع الأرحام وما أقر فيها؛
لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَفْنَا زَوْجَيْنِ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴿٢﴾،

وقال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴿٥﴾ ﴿٣﴾، وهي:

كلُّ الأرحام، وجميعُ الإقْرَارِ، وبكلِ التقدير - وكما

(١) سورة فاطر.

(٢) سورة الذاريات.

(٣) سورة الحج.

في الكون من مخلوقاتٍ - من انساها وجنّها

وحيواناتها وطيورها وأشجارها ونباتاتها ومن
البكتريا والفيروس وجميع الحشرات وغيرها ما
يُعلم وما لا يُعلم، ما يُرى وما لا يُرى؛ كما قال تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ

وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ^(١)، إذن: من الذي

يعلم هذا الإعجاز والتحدي بكل إقراره وحياة

أشهره وأيامه ولحظاته لكل أنثى الوجود؟ إلا الله

- الخالق الجليل - جلّ جلاله وعمّ نواله؛ كما قال

تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ

وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾، وهذا هو

الغيب المتحدى به، لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك

كريم، ولا قلب ملهم، ولا قلم معلم؛ وقس على

(١) سورة يس.

ذَلِكَ فِي الْإِحَاطَةِ بِمُغَيِّبَاتِ الرَّحْمَنِ عَلَيْكَ. يَرْحَمُنَا وَيَرْحَمُكَ

اللَّهُ، وَيُوفِقُنَا جَمِيعاً لِمَرْضَاتِهِ، آمِينَ.

- وَأَمَّا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْحَامِ - كَرَحْمِ أَنْسِيَّةٍ مِنْ

أَنْثَى الْبَشَرِ أَوْ غَيْرِهِ، فَهُوَ: لِلتَّبَعِيضِ الَّذِي أُذِنَ لِلَّهِ بِهِ

عَلَيْكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا

بِمَا شَاءَ﴾ (٢٥٥) (١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾، وَهُوَ: جَمْعُ رَحِمٍ،

وَالْقَاعِلَةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: أَنْ لَامِ الْجِنْسِ إِذَا دَخَلَتْ

عَلَى الْمَفْرَدِ أَفَادَتْ الْعُمُومَ، وَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْجَمْعِ

أَفَادَتْ النُّوعَ؛ كَمَا قَالَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ - جَلَّتْ

عَظَمَتُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦) (٢)، وَهَذَا إِعْجَازٌ غَيْبِيٌّ آخَرٌ؛

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة آل عمران .

فالتحدي بالمغيبات التي لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ فهو:
الإقرار، والعموم، والاستغراق، والنوع، لكل ما
خلق الله في أرحام أنثى المخلوقات كلها، ومن لحظة
تكوينها إلى ولادتها.

- وأما قوله تعالى: ﴿بَشَرٌ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، فقد أذن
الحق سبحانه، للنبوة بمشيئته ورضوانه عن طريق
وحي السماء أن يُعَلِّمَ النبي ﷺ واحداً من الأرحام؛
لما روى البخاري قال: ﴿حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ حَدَّثَنَا
سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ اشْتَكَى ابْنُ
لِأَبِي طَلْحَةَ قَالَ فَمَاتَ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ فَلَمَّا رَأَتْ
امْرَأَتَهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ
فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ كَيْفَ الْغُلَامُ قَالَتْ قَدْ هَدَأَتْ
نَفْسُهُ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاخَ وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا
صَادِقَةٌ قَالَ فَبَاتَ فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ

يَخْرُجَ أَعْلَمْتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَخْبَرَ
النَّبِيَّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ
أَنْ يُبَارِكَ لَكُمْ فِي لَيْلَتِكُمْ قَالَ سُفْيَانُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ
الْأَنْصَارِ فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ
الْقُرْآنَ^(١)، واخرج الخطيب، وأبو نعيم في
«الدلائل» عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -
قال: حدثني أم الفضل ابنة الحارث الهلالية قالت:
مررت بالنبي ﷺ وهو في الحجر قال: ﴿يا أم الفضل
إنك حامل بغلام﴾ قلت: يا رسول الله وكيف وقد
تحالف الفريقان أن لا يأتوا النساء؟ قال: ﴿هو ما
أقول لك فإذا وضعته فائتني به﴾ قالت: فلما وضعته
أتيت به رسول الله ﷺ فأذن في أذنه اليمنى وأقام في
أذنه اليسرى، فقال: ﴿اذهبي بأبي الخلفاء﴾ قالت:
فأتيت العباس فأعلمته وكان رجلاً جميلاً لباساً فاتى

(١) ((صحيح البخاري))، كتاب الجنائز . باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة.

النبي ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قام إليه فقبل ما بين عينيه ثم أقعده عن يمينه ثم قال: ﴿هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه﴾ قلت: يا رسول الله بعض القول فقال: ﴿يا عباس لم لا أقول لك هذا وأنت عمي وصنو أبي وبقية آبائي وخير من أخلف بعدي من أهلي﴾ فقلت: يا رسول الله ما شئ أخبرني به أم الفضل عن مولودنا هذا؟ قال: ﴿نعم يا عباس إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي﴾^(١).

أو عن طريق القلب: وهو الإلهام والفتح من الله ﷻ عن طريق الإذن والرضوان والرحمة التي لا تتوقف إلى قيام الساعة، ومن أنكر الفتح فقد أوقف رحمة الله على للعالمين؛ ومن ذلك ما روى

(١) ((المعجم الأوسط)) لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)

(١٠١/٩) ((تاريخ دمشق)) (٣٥٢/٢٦).

الإمام مالك عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت:
إنَّ أبا بكر الصديق كان نَحَلَهَا جَادًا عِشْرِينَ وَسَقًا
مِنْ مَالِهِ بِالْغَابَةِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: «وَاللَّهِ يَا
بُنَيْتُ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ غِنَى بَعْدِي مِنْكَ
وَلَا أَعَزُّ عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي مِنْكَ وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكَ
جَادًا عِشْرِينَ وَسَقًا فَلَوْ كُنْتُ جَدَدْتِيهِ وَاحْتَزَيْتِيهِ كَانَ
لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالٌ وَارِثٌ وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ
وَأُخْتَاكِ فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ:
فَقُلْتُ يَا أَبَتِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ إِنَّمَا
هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنْ الْخُرَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «دُو بَطْنِ
بِنْتِ خَارِجَةَ أَرَاهَا جَارِيَةً»^(١).

(١) «موطأ مالك») لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ) كتاب الأفضية . باب ما لا يجوز من النحل؛ «سنن البيهقي الكبرى») لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ) (١٦٩/٦)؛ «شرح معاني الآثار») لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الطحاوي (ت ٣٢١هـ) (٨٨/٤).

ولابن سعد في «الطبقات»، قال - رضي الله تعالى عنه: «ذات بطن ابنة خارجة، قد ألقى في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيراً»، فولدت أم كلثوم رضي الله تعالى عنها^(١).

وإما عن طريق القلم وهو: من علوم مشايخنا علماء الشريعة الغراء - عليهم سحائب الرحمات والرضوان - علومُ الجادة الشرعية، ومنها علمُ الجبرِ أو الرياضيات؛ مثل ذلك: $2 \times 2 = 4$ فتؤخذ عينات من بعض المخلوقات وتضرب، وتخرج النتيجة هل يوجد طفل في الرحم أم لا، أو عن طريق مشاهدة الأجهزة كـ «السونار وغيره»، وهذا الأمر أصبح معلوماً كالشمس في ضحاها؛ ومنها ما يُنبأ بمشيئة الله عن الأنواء الجوية - كالمطر وغيره؛ لما اخرج

(١) ((الطبقات الكبرى)) لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ) (١٩٥/٣).

البيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أصابتنا سحابة، فخرج علينا النبي ﷺ فقال: ﴿إِنْ ملكاً موكلاً بالسحاب دخل عليّ أنفاً فسلم عليّ واخبرني أنه يسوق السحاب إلى وادٍ باليمن يقال له ضريح﴾ فجاءنا راكباً بعد ذلك، فسألناه عن السحابة فآخبر أنهم مطروا في ذلك اليوم^(١)، وفي «دلائل النبوة» عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري بينا رسول الله ﷺ في مسجده ومعه رجال من أهل الريب وهم المنافقون إذ نشأت سحابة قال فأبدها رسول الله ﷺ عينيه، ثم جعل كأنه يتبع بصره شيئاً حتى نظر نحو بعض حجره قال: فقام فلبث ما شاء الله ثم رجع فجلس، فقلنا يا رسول الله رأيناك تصنع شيئاً ما رأيناك تصنعه قال: ﴿إني بينا أنا معكم إذ

(١) ((الأحاديث المختارة)) لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي (ت ٦٤٣هـ) (١٠ / ١٢٧ - ١٢٨). ((مسند أبي عوانة)) للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفراييني (ت ٣١٦هـ) (٢ / ١٢١).

نظرت إلى ملك تدلى من هذه السحابة فأتبعته بصري
أنظر أين يعمد فإذا هو قد وقع في بعض حجري فقامت
إليه فسلم عليّ ثم قال: إني لم أزل استأذن ربي في
لقيك حتى كان هذا أوان أذن لي في ذلك وإني أبشرك
يا محمد أنه ليس آدمي أكرم على ربه منك قلت: ومن
أنت؟ قال: أنا ملك السحاب الذي وكل به قلت: فهل
أمطرتهم شيئاً من البلدان؟ قال: نعم أمطرتنا بلد كذا وكذا
وبلد كذا وكذا وبلد كذا وكذا وبلد كذا وكذا قلت: فهل
أمرتم لنا بشيء؟ قال: أما في شهركم هذا فلا ولكننا قد
أمرنا أن نمطركم في شهركم الداخل ليلة كذا وكذا في
كذا وكذا من الشهر ﴿ قال ثم قام رسول ﷺ وتفرقنا،
فقال أولئك النفر من المنافقين: قد فصل محمد
بينكم وبين نفسه انظروا ما قال لكم فإن يك حقاً
فالرجل نبي مرسل وإلا يكن حقاً فأنتم على ما أنتم
عليه لم يزدكم في أمركم ذلك إلا شدة ثم خرجوا
يتلقون الركبان فلا يسألون عن بلد من البلدان

التي ذكر رسول الله ﷺ إلا أخبروا عنه بمطر قال
فقالوا: سأل الركبان كما سألنا فأخبر ولكن انظروا
الليلة التي وعدكم فيها ما وعدكم فلما كانت
الليلة التي وعدهم فيها ما وعدهم أمطروا فلما
أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ فقالوا: إنا كنا
أهل ريب فهل نباعك ببيعة جديدة فبايعهم رسول
الله ﷺ فحسن إسلامهم وبورك لهم في ذلك
المجلس^(١)، وفي رواية الإمام مسلم وغيره: عن زيد
بن خالد الجهني قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ
الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ
فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: ﴿هَلْ تَدْرُونَ
مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟﴾ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:
﴿قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ
مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ

(١) ((دلائل النبوة)) لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) (١/١٨٣).

وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ
بِالْكُوكَبِ ﴿^(١)﴾، والجمع بين الأدلة - فأعلم: أن
تعارض الأدلة من أهم الأحكام الشرعية في
((أصول الفقه الإسلامي)) فهذا الأمر وتعليمه
بمشيئة الله وقدرته - جلَّ وعلا - سواء بواسطة أو
بدون واسطة فهو علمٌ عطائيٌّ مكتسبٌ بمشيئة الله
وفضله ورحمته لبعض عبادِه كالوحي، والقلب،
والقلم - وبما نحن بصده عن القلم؛ قال تعالى:
﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾، وقال تعالى:
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَاتَعَمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ^(٢)، وقال - عليه الصلاة
والسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتُهُ﴾ ^(٣).

- وعن طريق هذه الدلالة الكبرى من نصوص
الشرعية الغراء بما جاء في الكتاب المجيد، والسنة

(١) ((صحيح مسلم)) كتاب الإيمان . باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

(٢) سورة الصافات .

(٣) ((خلق أفعال العباد)) للإمام البخاري ص(٤٦) .

الطاهرة الشريفة، وما أُسْتَنْبَطَ مِنْهُمَا بِالْقَلْبِ

وَالْقَلَمِ؛ مَعْرِفَةً وَعِلْمًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا

﴿١٣﴾ (١)، فَهْمُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، اجْتِهَادًا؛ كَمَا قَالَ

تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ

ءَامَنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ (٢)،

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، أَي: بِكُلِّ الْعُلُومِ وَالْمَغْيِبَاتِ

قَبْلَ الْكَوْنِ وَبَعْدَهُ، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، يُعَلِّمُهُمُ اللَّهُ

بِقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ وَأَسْرَارِ الْعُلُومِ

الْخَفِيَّةِ - مِنْ الْمَحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ بِإِذْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ - جَلَّ

وَعَلَا، يَقِينًا، وَرَحْمَةً لِلْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ.

(١) سورة النساء.

(٢) سورة آل عمران .

وهذا غيظ من فيض، وغيرها كثير من القواعد التي ذكرناها في هذه الرسالة المباركة، من توفيق الرحمن الرحيم - مثبتين أن هذا الدين هو: الدين الكامل والخاتم وهو الأمن والأمان والاستقرار والأنس والبقاء لنعيش مع الله بدين الله علماً ومعرفةً، أدباً وحباً، غيرةً وحكماً وتحكيماً - عسى الله أن يرحم قلوبنا ويمن علينا برضوانه - جل جلاله وعم نواله - سائرين إلى مقام المعرفة الربانية متشبهين بقوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٦) ^(١) . وأقول لأهل

الحب الإلهي:

جَنَاتُ ذِكْرِكَ فِي الْفُؤَادِ مَعَالِمٌ وَمَعَانِي حُبِّكَ لِلْجَنَانِ حَنَانٌ
وَوُدَادُ حُبِّكَ لِلْجَنَانِ مَحَاسِنٌ تَبْقَى وَحُبِّكَ لِلنَّعِيمِ جِنَانٌ

(١) سورة آل عمران.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي،
وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي
الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ،
وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ مِنْهُ نَبِيِّكَ
مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ
مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

اللَّهُمَّ أَرْحَمْ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمَرْحُومَةَ عَفْوَاً وَمَغْفِرَةً،
حَفْظاً وَنَصْراً، رَحْمَةً وَتَوْفِيقاً وَفَتْحاً.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾^(١) آمين. آمين. يا مولانا
يا رب العالمين. سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله
إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾^(٢).

خَادِمُ الدِّينِ وَالْأُمَّةِ
السَّيِّدُ عِبَادِي السَّيِّدُ فَاضِلُ الرَّحْمَنِ النَّسْبِيُّ
العراق - سامراء - القلعة

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الصافات.